

وازاء هذا الواقع العربي الزري يعيش الشعب الفلسطيني بالاضافة الى مأساة الغربية عن الوطن المحتل مأساة الخيانة واللامبالاة العربية التي تلبس أثواب الوطنية والتقدمية محاولة بذلك ان تختفي وراء هذه الأمتعة الواهية ، فيبدو الواقع اكثر ايلاما . وتظل أرض الوطن تحت الاحتلال بينما تتلهى الانظمة العربية بالتساؤل عن جدوى القتال ، وتساهم — بقبولها مشاريع الحلول المستوردة — على بضعة امتار مما تعتبره أتربة ووحولا ، لانها عاجزة عن خط الفعل المحول :

وما الأرض ؟ ما قيمة الأرض ؟
أتربة ووحول ، نقاتل او لا نقاتل ؟ ليس مهبا سؤالك
ما دامت الثورة العربية محفوظة في الاتاشيد والعيد والبنك
والبرلمان(٦٤).

هنا تتجسد مأساة الشعب العربي بالواقع الفاسد ، حين يفقد الوطن قيمته المعنوية ويصبح قطعة من أرض ، وحين يستغل اسم الثورة للتهرب من القتال ، وحين يتحجر معنى الثورة ويتحول من فعل يولد الانبعاث الى ستار تختفي وراءه العيوب ، فيمتنع الانبعاث الصحيح . ولكن هذه الأرض ليست لأتربة ووحولا للفلسطيني . هي جزء من ذاته : فعصر ثمارها يجري في شرايينه ، وحقولها محفورة في كفه ، ومساء كرمها يعيش في ذاكرته :

... ولكنها وطني
من الصعب ان تعزلوا
عصر الفواكه عن كريات دمي
ولكنها وطني
من الصعب ان تجدوا فارقا واحدا
بين حقل الذرة
وبين تجاعيد كفي
ولكنها وطني ..
لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة
وبين المساء الذي يسكن الكرم(٦٥).

لكن مأساة الهزائم المتكررة ومهزلة التخاذل العربي المتمثل في البحث عن افضل العروض الدولية لاكتساب بضعة امتار اضافية من «الأتربة والوحول» دفعت الشعب الفلسطيني الى أن يهب رافضا ان تكون الخيمة وطنا له وهوية ، ويذهب هو للقتال ليفتدي أرض الوطن :

وليست خيامك ورد الرياح ، وليست مظلات شاطئ
تدجج باعده الخيمة ، احترقني يا هويتنا — صاح لاجيء(٦٦).

ولكن الفلسطيني الثائر لا يواجه حربا واحدة بل حربين ، لان « ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة »(٦٧) . ففي الوقت نفسه الذي يقاوم فيه الاحتلال ، عليه ان يخوض حربا ضد وجود التخلف في الداخل ، التي فرضت على الشعب العربي الهزائم المتواصلة ؛ « وحريك حربان . حريك حربان . سرحان !... »(٦٨) . لذا يتوجب على الانسان العربي ان يخلق الحضارة العربية الجديدة ، لان المعركة ضد الاحتلال الصهيوني ليست مجرد حرب تنتصر فيها او نهزم ، بل هي صراع حضاري طويل .

يبقى السؤال : ما هي قيمة ديوان « أحبك او لا احبك » الفنية ، وماذا اضاف الى تجربة محمود درويش الشعرية ؟ لا شك في ان هذا الديوان يعتبر نقطة تحول جديدة في مسيرة محمود درويش الشعرية ، او هو تطوير للنحول الذي بدأ في « العصفير تموت